

الوسطية ونبذ العنف في فكر المرجعية الرشيدة

أ.م.د. جمعة نجيل الحمداني
جامعة ذي قار / كلية الآداب

المقدمة :

بسم الله الرحمن الرحيم والحمد لله رب العالمين ، وصلى الله على سيدنا محمد واله الطيبين الطاهرين واصحابه المنتجبين .

الوسطية : هي الاعتدال في كل امور الحياة من تصورات ومناهج ومواقف ، وهي كذلك منهج فكري وموقف اخلاقي وسلوكي ، كما ذكر القرآن الكريم في سورة القصص : (وابتغ فيما اتاك الله الدار الآخرة ولا تنس نصيبك من الدنيا ..) وكذلك قوله تعالى من سورة البقرة : الآية ١٤٣ : (جعلناكم امة وسطا) .

وللوسطية مزايا وسمات رائعة جدا ، منها : انها تحقق الملائمة بين ثوابت الشرع ومتغيرات العصر ، والوسطية هي وسيلة مهمة وراقية تدعو الباحث الى فهم النصوص الجزئية للقران والسنة النبوية الصحيحة في ضوء مقاصدها الكلية ، كما تدعو الوسطية في التعامل الى الحرص على الجوهر قبل الشكل ، والى المضمون قبل الاطار الخارجي ، والى الباطن قبل الظاهر لفهم الفكرة ، مما يؤدي الى الفهم التكاملي للفكرة التي يطرحها الاسلام بمعناها العام ، والوسطية تدعو الناس الى الحكمة وحوار الآخرين ، والتسامح مع المخالفين .

لهذا كله فان الوسطية تمثل الاعتدال في كل امور الحياة ومنهجها ، لذلك ورد في الماثور: (خير الامور اوسطها) ، والدين الاسلامي هو دين التوسط والاعتدال ودين الحق والعدل من خلال ما ورد في العديد من الايات القرآنية والاحاديث النبوية الشريفة ، وبما ان المرجعية الرشيدة تمثل الامتداد الطبيعي للقران والسنة النبوية وفكر اهل البيت عليهم السلام ، لذلك نلاحظ وبوضوح تام اثر ذلك الامتداد من خلال خطبها العديدة وفكرها الوسطي المعتدل العابر للطائفية والنابذ لها ، والرافض للكرامية المقيتة التي ملئت كتبنا ومؤلفاتنا الاسلامية بسبب السلاطين الذين سخروا الاسلام لخدمة ماربهم الدنيوية الرخيصة .

وعند تتبع لخطب المرجعية الرشيدة تبرز لنا بوضوح وبشكل جلي ان المرجعية تهدف في منهجها وفكرها الى جمع شتات المسلمين ، وذلك من خلال زرع الفكر المحمدي الصحيح الذي يؤكد ان خير الناس من نفع الناس ، لهذا كله فان فكرة البحث تدور حول المنهج الوسطي الذي سلكته المرجعية الرشيدة خاصة في سنوات العنف الدموي في العراق بعد عام ٢٠٠٣ م .

والله ولي التوفيق .

المبحث الأول :

الوسطية في القرآن الكريم والتطبيق العملي لها في فعل المرجعية :
تمتد الجذور التاريخية للعنف والكراهية وفرض الرأي الاحادي الى القرون الاسلامية الاولى وبالتحديد في القرنين الثاني والثالث الهجريين حتى وصلت مرحلة النضج والتثبت في القرن الرابع الهجري لتأتي بأكلها وثمارها في القرون اللاحقة .
وقد تأسست مبادئ العنف والكراهية ونبذ الاخر المخالف اعتماداً على منهجية خاطئة وهي القراءة الحرفية للنص الديني والتشديد على الاجتهاد واسقاط البرهنة والحوار .
والمقصود بالقراءة الحرفية هو الترجمة الحرفية الدقيقة التي لا تصرف فيها ، ومنها التمسك بالقانون حرفياً - كما في الاصطلاح - اي بحرفيته وحذافيه^(١) ، من دون النظر الى عمقه او احتمال تبدل محتوى النص في زمن معين او مكان معين ، وانما الالتزام الحرفي للنص الذي تولد من جراء جمود الفكرة وبالتالي صعوبة تطبيقها ، او خطأ تطبيقها استناداً لهذا الامر .

ومن المشاكل الاخرى التي ابتليت بها الثقافة الاسلامية والخطاب الديني الاسلامي ، مشكلة الالتزام بمعيارية فهم أهل الزمن الاول بحيث يتحول الدين من حقيقة كونية تستوعب الانجاز الانساني الى إنموزج تاريخي سكوني ثابت وجامد لا يتحرك وكأن العقول اجذبت وعقمت عن انتاج اي معرفة ، فاصبحنا مجبرين على فهم النص كما فهمه وفسره ابن عباس^(٢) وابو سعيد الخدري^(٣) وابو هريرة من دون ادنى مراجعة لهذا

النص عقلياً وفكرياً ومدى مطابقتها للواقع في حياتنا اليومية. فأصبح الخطيب والفقيه يستشهد بتفسيرات الاولين وكأنها نص مقدس لا يمكن مناقشته.

ولم يقف الامر عند هذا الحد ، بل ان نتائج النقطتين السابقتين قادت بالفكر الاسلامي الى التطرف والكراهية التي وصلت حد التكفير ، والتكفير هو نسبة مجموعة او فئة من المسلمين الى الكفر ، واخراجهم من الاسلام^(٤).

ورغم ان القرآن الكريم والسنة النبوية في الكثير من الاحاديث اكدت على النهي من التكفير ، وبينت اثاره الوخيمة على بنية المجتمع الاسلامي الا ان الروايات التي غلب عليها الطابع السياسي والعقائدي ملئت الكتب والمؤلفات الاسلامية التي تكفر المسلمين المخالفين في الفكر والعقيدة ، وظهر فرقة الخوارج الذين اعتقدوا بكفر علي بن ابي طالب ومن معه لقبولهم التحكيم اكبر شاهد تاريخي على ذلك^(٥).

ويتفق الفهم العلمي للقرآن الكريم ان المعتقدات الاساسية هي الايمان بالله واليوم الآخر، الشرط الموازي واللازم للايمان هو العمل الصالح اي المشروع البنائي للإنسان ، قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالنَّصَارَى وَالصَّابِئِينَ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾^(٦).

ولكن التمسك الكامل بالتراث المملوء بالتدني المنهجي والمعرفي ونتائج عصور التدهور الحضاري اعطى قدراً كبيراً من التشدد الديني.

بل ان الاطار النظري والعملي الذي بني عليه الدين الاسلامي يتطابق تماماً في تبني الفكر والسلوك الوسطي بعيداً عن الاصوات النشاز والافكار المنحرفة التي حاولت ان تحرف الامور عن سياقاتها الطبيعية خدمة لمصالح دنيوية او شخصية ضيقة ، ما أثر سلباً في طريقة فهم جوهر الاسلام الحنيف ، الذي بدوره ولد صراعاً مع الآخر ، الذي يعتق غير الاسلام ، وصراعاً بين المسلمين انفسهم.

لذلك وجدت الحاجة الفعلية الى استقراء بحثي فكري يعتمد الموضوعية والعلمية في تبني الادلة العقلية والعقلية لتزويه الفكر الاسلامي عن اي فكر منحرف او عقيدة فاسدة.

إن الدور الانساني الذي تؤديه المرجعية الرشيدة هو بمثابة التطبيق العملي لكل مبادئ الدين الاسلامي الحنيف ، هذا الدين العظيم الذي أوصى أتباعه باحترام حقوق المخالفين بل وحى الاعداء المواجهين لافراده في ساحات القتال. وقد تجسد هذا الدور من خلال نصائح ووصايا المرجعية الرشيدة للمقاتلين في ساحات الجهاد مع الدواعش وأمثالهم ، ففي خطبة المرجعية الموجهة للمقاتلين في ساحات الوغى بتاريخ ٢٦/ربيع الاول/١٤٣٩هـ الموافق ١٥/١٢/٢٠١٧م التي القاها فضيلة الشيخ مهدي الكربلاء : ((كونوا لمن قبلكم من الناس حماة ناصحين حتى يأمنوا جانبكم ويعينوكم على عدوكم ، بل أعينوا ضعفائهم ما استطعتم ، فإنهم اخوانكم واهاليكم ، واشفقوا عليهم فيما تشفقون في مثله على ذويكم ، واعلموا إنكم بعين الله سبحانه ، يحصي افعالكم ويعلم نياتكم ويختبر اموالكم)) .

ومن خلال هذا النص يتبين لنا أن المرجعية الرشيدة في خطاباتها للمقاتلين لم تكن واعية فقط لمخاطر الدواعش العسكرية والقتالية ، بل انها واعية لمسألة مهمة وهي ان سكان المناطق التي احتلتها الدواعش هم أخوة مغلوب على أمرهم ، فيجب هنا على المقاتل ان يشعر هؤلاء المستضعفين بالامن والامان ، وانهم ربما لديهم الاستعداد الكامل لمساعدة المقاتلين على العدو في حالة توفر لهم عنصر الاطمئنان والامان ، وهذا الفكر بالاضافة الى جانبه الانساني الكبير فهو يحمل فكر عسكري قتالي ثاقب وبعيد النظر من أجل حسم المعركة لصالح المؤمنين عسكرياً.

الوسطية في القرآن في قوله تعالى : ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا﴾^(٧) ، فالوسطية هنا حددت الوضع الاستراتيجي الصحيح للامة الاسلامية والصفة العامة التي تتميز بها هذه الامة من بين الامم الاخرى.

ويحدد القرآن الكريم المنهج العام للحياة في تجسيد مفهوم الوسطية من خلال قوله تعالى : ﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ﴾^(٨).

ان الدور الذي تمارسه المرجعية الرشيدة من خلال خطبها الاسبوعية المستمرة والتي تعمل على نشر الثقافة الاسلامية المعاصرة ، هو فعلا الدور الرسالي الذي يمثل الامتداد

الحقيقي للرسالة الاسلامية المتمثلة بالرسول الاعظم (ص) لأنها تتعايش مع المجتمع وتستخدم الاسلوب العلمي والفكر المتجدد البعيد عن الانطواء والعزلة ، والرفض لكل العقد التي خلفتها المورثات التاريخية القديمة والدخيلة على روح الاسلام وفكره .

اما الدور الفكري العلمي الذي تمارسه المرجعية فهو الاخر يمثل امتداداً للفكر الرسالي الصحيح ، فمثلما كانت سنة نبينا المصطفى (ص) تمثل امتداداً للنص القرآني ، ومثلما كان فكر الائمة الاطهار يمثل امتداداً واستكمالاً للسنة النبوية ، فان فكر المرجعية الرشيد يسير على نفس وتيرة هذا الامتداد ، ليمثل امتداداً لفكر الائمة الاطهار (ع) بثقافتهم الدينية الايمانية والفكرية الواسعة التي تؤمن بالحوار مع الاخر المخالف لها في الفكر والعقيدة .

لذلك تعد الوسطية في كل الامور من اهم مزايا المنهج الاسلامي فهي ليست مجرد معنى ، بل سلوكا ومعاملة ومنهجاً فكرياً ينبغي التعامل معه ، ولعلنا اليوم احوج اليها من أي وقت آخر ، ذلك ان التعصب والتطرف أبعد البعض عن فهم المعنى الحقيقي للإسلام .

وقد تجسدت هذه المفاهيم في توصيات المرجعية الرشيدة عندما اشارت في خطبتها الى الجوانب الاخلاقية العظيمة التي يتحلى بها الاسلام المحمدي الصحيح من خلال اشارتها الى هذا الامر حين ذكرت في احدى نقاط هذه الخطبة : ((واحرصوا اعانكم الله على ان تعملوا بخلق النبي وأهل بيته (صلوات الله عليهم) مع الآخرين في الحرب والسلم جميعاً ، حتى تكونوا للاسلام زيناً ولقيمه مثلاً ، فإن هذا الدين بُني على ضياء الفطرة وشهادة العقل ورجاحة الاخلاق ، ويكفي منبهاً على ذلك انه رفع راية التعقل والاخلاق الفاضلة فهو يرتكز في اصوله على الدعوة الى التأمل والتفكير في أبعاد هذه الحياة وآفاقهم ثم الاعتبار بها وللعمل بموجبها ... قال أمير المؤمنين عليه السلام :)

فبعث الله فيهم رسله وواتر أنبياءه اليهم ليستأدوهم ميثاق فطرته ويذكرهم منشئ نعمته ويحتجوا عليهم بالتبليغ ويشيروا لهم دقائق العقول))^(٩) .

فللجهاد اداب عامة لا بد من مراعاتها حتى مع غير المسلمين ، وقد كان النبي (ص) يوصي بها اصحابه قبل ان يبعثهم الى القتال ، فقد صح عن الامام الصادق (ع) انه

قال: (كان رسول الله (ص) اذا اراد ان يبعث بسرية دعاهم فأجلسهم بين يديه ثم يقول سيروا باسم الله وفي سبيل الله وعلى ملة رسول الله (ص): لا تغلوا ، ولا تمثلوا ، ولا تغدروا ، ولا تقتلوا شيخاً فانياً ولا صبياً ولا امرأة ، ولا تقطعوا شجراً الا ان تضطروا اليها))^(١٠).

وتستمر المرجعية في وصايا الانسانية التي تربي الفرد المسلم على المحبة والألفة حين قالت في خطبتها : ((فالله الله في النفوس ، فلا يستحلن التعرض لها بغير ما أصله الله تعالى في حال من الاحوال ، فما اعظم الخطيئة في قتل النفوس البريئة وما اعظم الحسنة بوقايتها واحيائها ، كما ذكر الله سبحانه وتعالى في كتابه ، وإن لقتل النفس البريئة اثار خطيرة في هذه الحياة وما بعدها.

وقد جاء في سيرة امير المؤمنين (عليه السلام) شدة احتياطه في حروبه في هذا الامر ، وقد قال في عهده لمالك الاشر : (إياك والدماء وسفكها بغير حق ، فإنه ليس شيء ادعى لنفمة وأعظم لتبعة ولا أخرى بزوال نعمة وانقطاع مرة من سفك الدماء بغير حقها والله سبحانه مبتدأ بالحكم بين العباد فيما تسافكوا من الدماء يوم القيامة ، فلا تقوين سلطانك بسفك دم حرام ، فان ذلك مما يضعفه ويوهنه ، بل يزيله وينقله ولا عذر عند الله ولا عندي في قتل العمد لان فيه قود البدن)^(١١).

واستناداً الى هذا النص الرائع والعظيم في دروسه الانسانية اوصت المرجعية مقاتليها بقولها : ((فإن وجدت حالة مشتبهة تخشون فيها المكيدة بكم ، فقدموا التحذير بالقول او بالرمي الذي لا يصيب الهدف او لا يؤدي الى الهلاك ، معذرة الى ربكم واحتياطاً الى النفوس البريئة.

وتستمر الوصايا الاخلاقية التي تزرع المحبة والألفة ، وتنبذ الكراهية بالاستناد الى فكر امير المؤمنين (ع) فنقول في خطبتها : ((الله الله في حرمان عامة الناس ممن لم يقاتلوكم ، لاسيما المستضعفين من الشيوخ والولدان والنساء ، حتى اذا كانوا من ذوي المقاتلين لكم ، فانه لا تحل حرمان من قاتلوا غير ما كان معهم من اموالهم)).

وعند الدخول في تفاصيل ما ورد في القرآن الكريم من آيات كريمة في قوله تعالى : ﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئاً وَلَا يَتَّخِذَ

بَعْضُنَا بَعْضًا أَزْبَابًا مِّنْ دُونِ اللَّهِ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ^(١٢) ، وقوله تعالى : ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا﴾^(١٣) ، وما جاءت به سنة المصطفى (ص) والائمة الاطهار ، نرى وبوضوح ان الوسطية والاعتدال هي الاصل في الفكر الاسلامي ، اما ما سواها من عقائد وافكار تميل نحو الغلو والتطرف والافراط والتشدد فلا تمت للإسلام بصلة.

فالوسطية في الاسلام وفق هذه الآيات الكريمة تحثنا على التوافق والملائمة بين ثوابت الشرع ومتغيرات ، وان يكون فهمنا للنصوص الجزئية في القرآن والسنة على اساس مقاصدها الكلية وليس المجتزأة والمنتقاة حسب ايدولوجية المفسر او المؤدلج.

وهناك مسألة مهمة اخرى نلاحظها بوضوح في النصوص القرآنية ولكن للأسف هناك من يريد ان يتغافل عنها لأمر دنيوية رخيصة ، تلك المسألة هي الحرص على الجوهر قبل الشكل ، وعلى الباطن قبل الظاهر ، وعلى اعمال القلوب قبل اعمال الجوارح.

والقرآن الكريم حافل بالآيات القرآنية التي تؤكد وبصريح العبارة على الفهم التكاملي للإسلام من خلال دعوة المسلمين للحوار مع الاخر بالحكمة والحسنى والموعظة ، لقوله تعالى : ﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ

هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ صُلِّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ﴾^(١٤) ، ومعنى قوله تعالى : وجادلهم بالتي هي احسن اي : من احتاج منهم الى مناظرة وجدال ، فليكن بالوجه الحسن برفق ولين وحسن الخطاب^(١٥) ، كما قال تعالى : ﴿وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ

إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ﴾^(١٦) ، فأمر تعالى بلين الجانب ، كما امر موسى وهارون - عليهما السلام، حين بعثهما الى فرعون : ﴿فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَّيِّنًا لَّعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى﴾^(١٧) ، وهذه الآية من سورة النحل هي من اعاجيب الآيات ، لأنها تركز على الموعظة الحسنة لا علة

مطلق الموعظة ، وانما يريد منا الله ان ندعو الى الموعظة الحسنة ، بل والى الجدال بالتي هي احسن ، يعني ان الجدال فيه انواع : منها الجدال السيئ والجدال الحسن ، اذن وجب على جميع الفرق الاسلامية وفق هذه الآية المباركة ان تقترب بل ونطبق الجدال

بالتي احسن لكي نمثل الوجه الحقيقي للقرآن الكريم.

وبذلك نرى الآية الكريمة قد رسمت اقوم طرق الدعوة الى الله - تعالى - وعينت احكم وسائلها ، وانجعتها في هداية النفوس ، انها تأمر الدعاة في كل زمان ومكان ان تكون دعوتهم الى سبيل الله لا الى سبيل الدعوة غيره الى طريق الحق لا الى طريق الباطل ، وانها تأمرهم أيضاً ان يراعوا في دعوتهم احوال الناس ، وطباعهم ، وسعة مداركهم وظروف حياتهم ، وتفاوت ثقافتهم ، وان يخاطبوا كل طائفة بالقدر الذي يؤثر في نفوسهم ، وبالطريقة التي ترضي قلوبهم وعواطفهم ، فمن لم يقنعه القول المحكم ، قد تقنعه الموعظة الحسنة ، ومن لم تقنعه الموعظة الحسنة ، قد يقنعه الجدال بالتي هي أحسن ، ولذلك كان من الواجب على الدعاة ان يتزودوا بجانب ثقافتهم الدينية الاصيلية الواسعة - بالكثير من الوان العلوم الاخرى كعلم النفس والاجتماع والتاريخ ، وطبائع الافراد الأمم فانه ليس شيء انجح في الدعوة من معرفة طبائع الناس وميولهم وتغذية هذه الطبائع والميول بما يشبعها من الزاد النافع ، وبما يجعلها تقبل فعل الخير ، وتدبر عن فعل الشر ، وكما ان امراض الاجسام مختلفة ، ووسائل علاجها مختلفة - أيضاً - فكذلك أمراض النفوس متنوعة ووسائل علاجها متباينة ، فمن الناس من يكون علاجه بالمقالة المحكمة ، ومنهم من يكون علاجه بالعبارات الرقيقة الرفيعة التي تهز المشاعر وتثير الوجدان ، ومنهم من يكون علاجه بالمحاورة والمناقشة والمناظرة بالتي هي احسن ، لان النفس الانسانية لها كبرياؤها ، وعنادها ، وقلما تتراجع عن الرأي الذي امنت له ، الا بالمجادلة التي هي احسن.

ومن المسائل المهمة التي ارادها الاسلام ان تتأصل في نفوسنا وبناء مجتمع صالح وانسان صالح ، هو الجمع بين الولاء للمؤمنين ، والتسامح مع المخالفين ، والجهاد والاعداد للمعتدين وليس الاعتداء الناس الامنين لذلك قال تعالى : ﴿ وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ ﴾^(١٨). اي ان الله سبحانه وتعالى يحرم الاعتداء على الاخرين بدليل لم يقل اقتلوا ، بل قاتلوا الذين يقاتلونكم اي شرط من شروط القتال ان يكون الطرف الاخر هو المعتدي وليس الطرف المسلم ، وفي نفس

الوقت يحرم الاعتداء على الآخرين ويخبرنا بأنه جل وعلا لا يحب المعتدين. وكل شيء لا يحبه الله فهو جريمة واعتداء.

هكذا يربينا القرآن على الاعتدال والوسطية في التعامل بين الناس لان الله جل وعلا ميز هذه الامة (امة الاسلام) بالوسطية بين الامم لقوله تعالى : ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا...﴾^(١٩).

لذلك كان تجسيد المرجعية الرشيدة لهذه الايات واضحا في خطبتها الآتفة الذكر حيث ورد في هذه الخطبة ما يمكن اعتباره التطبيق العملي للقرآن الكريم حيث اشارت المرجعية الى ذلك في هذا النص : ((الله الله في الحرمات كلها ، فإياكم والتعرض لها أو انتهاك شيء منها بلسان أو يد ، واحذروا أخذ امرئ بذنب غيره ، فإن الله سبحانه وتعالى يقول: وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ^(٢٠)، وقال تعالى : ﴿كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ ^(٢١)﴾. ولا تأخذوا بالظنة وتشبهوه على أنفسكم بالحزم فإن الحزم احتياط المرء في أمره ، والظنة إعتداء على الغير بغير حجة ، ولا يحملنكم بغض من تكرهونه على تجاوز حرمانه كما قال الله سبحانه : ﴿وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَاٰنُ قَوْمٍ عَلَىٰ أَلَّا تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ ^(٢٢)﴾.

وقد جاء عن امير المؤمنين عليه السلام انه قال في وقعة صفين في جملة وصاياه : (ولا تمثلوا بقتيل وإذا وصلتكم الى رجال القوم فلا تهتكوا سترًا ولا تدخلوا دارًا ، ولا تأخذوا شيئاً من أموالهم إلا ما وجدتم في عسكرهم ، ولا تهيجوا امرأة وإن شتمن أعراضكم وسبين أمرائكم وصلحائكم)^(٢٣) ، وقد ورد إنه عليه السلام في حرب الجمل - وقد انتهت - وصل الى دار عظيمة فاستفتح ففتحت له ، فإذا هو بنساء يبكين بفناء الدار ، فلما نظرن إليه صحن صيحة واحدة وقلن هذا قاتل الأحبة ، فلم يقل شيئاً ، وقال بعد ذلك لبعض من كان معه مشيراً الى حجرات كان فيها بعض رؤوس من حاربه وحرص عليه كمروان بن الحكم وعبدالله بن الزبير : (لو قتلت الأحبة لقتلت من في هذه الحجرة)^(٢٤).

المبحث الثاني :

الوسطية في السنة النبوية وموقف المرجعية منها :

عندما نستعرض منهج الرسول الاكرم (ص) نجد فيها خاصية الوسطية واضحة جليلة ، فللنظر مثلاً : ماذا قال النبي (ص) للنفر الذين ألوا على أنفسهم ان يصوموا فلا يفطروا ، وان يقوموا فلا يناموا ، والا يئكحوا النساء ، انه قال منكر عليهم تطرفهم : ((أما إني أخشاكم الله ، وأتقاكم ، ولكن أصوم وأفطر وأقوم وأنام ، وأتزوج النساء ، فمن رغب عن سنتي فليس مني))^(٢٥).

وفي هذا القول تأكيد على خط الاعتدال الذي هو سمة هذا الدين في مواجهة من ارادوا ان يختاروا طرفاً واحداً على حساب الطرف الاخر ، فردهم النبي (ص) الى حد الاعتدال وهو الوسط بين الطرفين.

وحين نتأمل دعاء النبي (ص) : ((اللهم أصلح لي ديني الذي هو عصمة أمري وأصلح لي دنياي التي فيها معاشي ، وأصلح لي آخرتي التي اليها معادي ، واجعل الحياة زيادة لي في كل خير ، واجعل الموت راحة لي من كل شر))^(٢٦) ان هذا الدعاء يكشف عن توازن عجيب بين الدين والدنيا ، فهو لا يطلب الحياة الدنيا على حساب الآخرة ولا الآخرة على حساب الدنيا ونجد مصداق هذا في دعاء القرآن لقوله تعالى : ﴿ رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ ﴾^(٢٧) فلا تطرف ولا افراط ولا تفريط ، انما هي وسطية واعتدال ، هذا ما يشعر به كل من يستبطن الآيات القرآنية ويطلع على سنة المصطفة (ص).

وتطبيقاً لقول الامام علي عليه السلام : ((إعمل لدنياك كأنك تعيش أبداً ، واعمل لآخرتك كأنك تموت غداً))^(٢٨) قال عليه السلام : ما فعل عمر بن مسلم ؟ قيل : أقبل على العبادة وترك التجارة. قال : ويحه اما علم ان تارك الطلب لا يستجاب له ، ان قوماً من اصحاب رسول الله (ص) لما نزل قوله تعالى : ﴿ وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجاً ﴾ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ^(٢٩) ، اغلقوا ابوابهم ، واقبلوا على العبادة وقالوا : قد كفينا ، فبلغ ذلك رسول الله (ص) فأرسل اليهم فقال : ما حملكم على ما صنعتم ؟

فقالوا : يا رسول الله تكفل الله عز وجل بأرزاقنا فأقبلنا على العبادة ، فقال : أنه من فعل ذلك لم يستجب الله له ، عليكم بالطلب ، إني لأبغض الرجل فاغراً فاه الى ربه يقول : إرزقني ، ويترك الطلب^(٣٠).

وهذا النص يدل دلالة قاطعة على ان الاسلام هو فعلاً دين الوسطية والاعتدال حتى في الامور التعبدية والفقهية ، فالتفرغ للعبادة والقرب لرب العالمين ، ليس يكثره العبادات اللفظية والنسكية وانما بالعمل والانتاج واعطاء الحياة العظيمة التي منحها الله حقها ونصيبها من التفكير والجد والعمل والانتاج حتى تزدهر الارض وتعمر من خلال هذا الكائن (الانسان) وليس فقط العمل للآخرة ، فاذا كان العمل للآخرة هو الغاية فقط ، فما المبرر لوجود هذه الحياة ؟ علينا ونحن كمسلمين مؤمنين وفق هذه النصوص ان لا نفكر فقط في عبارة (نموت في سبيل الله) بل علينا ان نتعلم كيف ((نحيا في سبيل الله)) . وهذا ما يدعو اليه الاسلام من خلال هذه النصوص المقدسة والدليل على ذلك قوله (ص) : ((نعم العون على تقوى الله الغنى))^(٣١) ، اي مزج الامور الدنيوية مع الآخروية في عمل صالح.

وروي عن علي بن حمزة قال : رأيت أبا الحسن (ع) يعمل في أرض له وقد استبقت قدماء في الرصف فقلت له جعلت فداك اين الرجال فقال يا علي عمل باليد من هو خير مني ومن أبي في أرضه فقلت من هو فقال رسول الله (ص) ، وابائي كلهم قد عملوا بآبائهم وهو عمل النبيين والمرسلين والصالحين^(٣٢).

وفي الحث على الوسطية في طلب الرزق وعدم نسيان الآخرة العديد من النصوص التي لا مجال لحصرها وذكرها

المبحث الثالث :

أثر الوسطية في الخطاب الديني على الفرد والمجتمع :

تكمن اهمية الوسطية في انها مطلوبة في الخطاب الديني بعيداً عن التشدد والغلو وتحريض الناس فالرسول (ص) خاطب جميع الفئات وعاش معها فعاش في مكة مع

الكفار وكذلك في المدينة وابرم عهد مع اليهود وتعايش معهم تحت سقف دولة واحدة، وتبرز اهميتها في عدة أمور منها :

١. تنشر القيم والمبادئ العظيمة الداعية الى التسامح وحب الخير للآخرين ونشر ثقافة التسامح ونبذ الاحقاد والغل فيما بيننا ، قال تعالى : ﴿وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَؤُوفٌ رَحِيمٌ﴾^(٣٣).

٢. الوسطية تعني الاعتراف بحرية الآخرين ولاسيما الحرية الدينية ، وذلك ما شرعه الاسلام في قوله تعالى : ﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ﴾^(٣٤).

٣. التعايش السلمي : فالوسطية في الخطاب تنشر المحبة بين المجتمع والطوائف المختلفة تحت شعار متميز وصفه الرسول (ص) : ((لا يؤمن أحدكم حتى يحب لآخيه ما يحب لنفسه))^(٣٥).

٤. نبذ العصبية والدعوة الى الحوار وتقبل الآخر ، وهذا الامر هو مطلب واصبح مطلباً ملحاً بين التيارات والجماعات والفئات الاسلامية ، وقد نبذ رسول الله (ص) العصبية القبلية العنيفة لاي ذر في احد المواقف وهو من صحابته المقربين كما هو معروف : (انك امرؤ فيك جاهلية ...)^(٣٦) وقال (ص) : ((ابدعوى الجاهلية وأنا بين أظهرك))^(٣٧). كما ورد عن الامام علي عليه السلام انه قال في كلام له وقد سمع قوماً من اصحابه كحجر بن عدي وعمرو بن الحمق يسبون اهل الشام ايام حربهم بصفين : (اني أكره لكم أن تكونوا سبابين ، ولكنكم لو وصفتم أعمالكم وذكرتم حالهم ، كان أصوب في القول وأبلغ في العذر ، وقلتم مكان سبكم إياهم) اللهم إحقن دماؤنا ودمائهم ، واصلح ذات بيننا وبينهم ، واهدهم من ضلالتهم ، حتى يعرف الحق من جهله ويرعوي من الغي والعدوان من لهج به (فقالوا يا أمير المؤمنين : نقبل عظمتك ونتأدب بأدبك)^(٣٨).

وحين استشهدت المرجعية الرشيدة في خطابها بهذا النص المتقدم ، فانها اكدت على ازالة الشبهات ودرء الفتن من قولها : ((واعلموا ان اكثر من يقاتلكم انما وقع في الشبهة بتضليل اخرين فلا تعينوا هؤلاء المضللين بما يوجب قوة الشبهة في اذهان الناس حتى ينقلبوا انصاراً ، بل ادرؤوها بحسن تصرفكم ونصحكم واخذكم بالعدل والصفح في

موضعه وتجنب الظلم والاساءة والعدوان ، فإن من درأ شبهة عن ذهن إمرئ فكأنه أحياء ، ومن أوقع امرأ في شبهة من غير عذر فكأنه قتله.

خطب المرجعية وتطبيقها لمفهوم الوسطية ونبذ العنف

ففي مثل هذه الايام وقبل اكثر من ستين ، وبالتحديد عام ٢٠١٩م ، كان الشارع العراقي خليط بين مظاهرات شرعية واختراقات ارهابية ، وقد واكبت المرجعية هذه المظاهرات بشكل دقيق وجهدت نفسها لكي تشحذ همم المتظاهرين السلميين لتحقيق ما يصبوا اليه العراقيون القاسم المشترك لتلك الخطب هو التظاهر السلمي وهو حق كفله الدستور والحفاظ على الممتلكات العامة والخاصة وعدم استخدام العنف وعدم الاعتداء على القوات الامنية ، ولكن الذي يستحق التوقف هي الخطبة الاولى ليوم ٢٥/١٠/٢٠٢٠ والتي اشارت فيها المرجعية الى النقاط التي تستحق الاصلاح ، وهي في نفس الوقت سلبيات كل الحكومات المتعاقبة على حكم هذا البلد ، وهي جوهر المشكلة والاسباب التي وصلت بالعراق والعراقيين الى هذه الحالة المزرية، فقد حددت اهم ما يستحق الاصلاح ونصه : ((وهناك العديد من الاصلاحات التي تتفق عليها حكمة العراقيين وطالما طالبوا بها ، ومن اهمها مكافحة الفساد واتباع اليات واضحة وصارمة لملاحقة الفاسدين واسترجاع اموال الشعب منهم ، ورعاية العدالة الاجتماعية في توزيع الثروات بإلغاء او تعديل بعض القوانين التي تمنح امتيازات كبيرة لكبار المسؤولين واعضاء مجلس النواب ولفئات معينة على حساب سائر ابناء الشعب ، واعتماد ضوابط عادلة في التوظيف الحكومي بعيداً عن المحاصصة والمحسوبيات ، واتخاذ اجراءات مشددة لحصر السلاح بيد الدولة ، والوقوف بحزم امام التدخلات الخارجية في شؤون البلد ، وسن قانون منصف للانتخابات يعيد ثقة المواطنين بالعملية الانتخابية ويرغبهم في المشاركة فيها)).

إتسمت خطب المرجعية الدينية العليا في النجف الاشرف باهميتها الكبيرة ، وذلك لانها تنطلق من مبدأ الوسطية والاعتدال ، والتجرد من الخطابات التمييزية والطائفية الانحياز لفئة دون أخرى. وهي بهذا التصرف فانها تنطلق من موقع الاحساس العالي بالمسؤولية

الشرعية، ومن موقع ما تتمتع به من حكمة وحرص على سلامة البلاد والعباد. فكانت دائماً في خطاباتها التوحيدية، خصوصاً بعد الوضع السياسي الحالي في العراق والذي يدعو الى النظر العميق والتأمل في ايجاد الحلول الناجحة، نلاحظ بوضوح ان المرجعية في كل خطاباتنا وهي تحمل هموم الناس، فانها تقدم معالجات جذرية وواقعية لكن للأسف:

لأسمعت لو ناديت حياً لكن لا حياة لمن تنادي
ونارا لو نفخت بها أضواء ولكن أنت تنفخ في الرماد^(٣٩)
فهي تدعو الى الثوابت الوطنية، وتشجب الانتهاكات والاختراقات التي تمارس من قبل فئات معينة، وهي بأسلوبها هذا فانها ترفض الرفض المطلق لكل الوان عدم المساواة والتمييز بين المواطنين من قبل اي جهة متنفذة في الدولة مهما كانت مواقعها.
واكدت المرجعية في كل خطاباتنا على مبدأ الوسطية والاعتدال والاصلاح السياسي من خلال حثها في خطبها على ان للمواطن العراقي مطلق الحرية في الاعلان عن تمسكه بثوابته الوطنية بكل الطرق المشروعة، وبشكل سلمي، وما الاحتجاجات الشعبية الا احدى الوسائل المشروعة للتعبير عن حرص العراقيين على صيانة تلك الثوابت.
وقد اكدت المرجعية في عدة خطابات لها على ان الاملاءات الخارجية مرفوضة جملة وتفصيلاً، وليس مقبولا على الاطلاق ان يفرض على الشعب العراقي ما لا يريد.
وخطابات المرجعية كانت دائماً وابداً لم تخف الماراة الكبيرة من المماطلة والتسويق في تنفيذ الاصلاحات المطلوبة، تلك الاصلاحات التي اقترنت المطالبة بها بالكثير من التضحيات.

وهكذا كانت خطب المرجعية الدينية تعد دائماً خطأ تعبر بالعراق نحو بر الامان وذلك لان المرجعية الدينية قادرة على تشخيص الاخطار والخلل وتحديد المصالح اكثر من غيرها للشعب العراقي بل وقادرة على تشخيص المفاصد وما يلحق الضرر بالشعب العراقي وبمستقبله بل وحتى بالعملية السياسية. وابناء الشعب والجماهير يدركون تماماً ان المرجعية الدينية اقدر من غيرها ومن اي جهة اخرى على ان تشخص مصالح الشعب

العراقي وما الذي ينفعه ، وهي قادرة ايضا على ان تشخص ما يؤدي الى بناء مستقبل صحيح للدولة والشعب العراقي اكثر من غيرها.

ومن الامور المهمة جداً هو ان المرجعية تتحرك وفق دوافع أخروية ودينية وليس بدوافع سياسية ولا مالية ولا اجتماعية ولا وجاهية ، ومن هنا جاءت ثقة الناس وجاء الاستقطاب الجماهيري والموقع الجماهيري للمرجعية انطلاقاً من هذا الموقع ، وهكذا ائتمنت الناس ووضعوا الثقة بالمرجعية الدينية العليا لان تتكلم بلسان وصوت ضمير الشعب العراقي وبلسان وهموم لتعبر عن هموم والام الشعب العراقي وتطلعاته.

الجهة الوحيدة التي يوثق بها في انها تعبر عن هذه الطموحات والهموم هي المرجعية لانها الصوت الذي يمثل الضمير النقي للشعب العراقي لذلك جاء هذا الاستقطاب الجماهيري من هذا الموقع لا من الموقف الديني كما يتصور البعض.

وفي الخطبة الثانية لصلاة الجمعة بامامة السيد احمد الصافي في ٢٦/جمادى الآخرة ١٤٤١هـ الموافق ٢٠٢٠/٢/٢١ م ، ابتدأ السيد بذكر ما مر به امير المؤمنين علي عليه السلام في حياته ، كما هو المعلوم من سيرته العطرة ، حيث مر عليه السلام بمجموعة من الامور بعضها فتن وبعضها توجيهات الى الامة.

واستشهد السيد احمد الصافي في خطبته ببعض النصوص التاريخية حيث ذكر ان هناك مقطع زمني مر به امير المؤمنين عليه السلام كان فيه بعض الفتن ، حيث دخل عليه رجل اسمه الحارث ، وهذا الحارث بدأ يرادد أمير المؤمنين في أمر ، فذكر له امير المؤمنين هذه المقولة الرائعة والخالدة التي هي طرية في كل زمان ومكان ، فقال له اي للحارث : (يا حارث انك ملبوس^(٤٠) عليك ، ان الحق والباطل لا يعرفان بالناس ، ولكن اعرف الحق تعرف اهله ، واعرف الباطل تعرف من اتاه)^(٤١).

يقول السيد الصافي : واعتقد اخواني ان هذه المسألة في كل زمان ومكان نرى الان بعض الناس موقفه صباحاً شيء وعصراً شيء اخر لماذا ؟ لان هذا البعض لا يعرف الحق وانما عرف الناس فيتصور ان الحق يدور مدار الناس.

التمييز بين الحق والباطل مسألة مهمة جداً ، لان الانسان في حياته الدنيا لابد ان يعرف الحق ولا يضره من ان متبعي الحق قليل او كثير ، لان القرآن الكريم يقول : ﴿وَأَكْثَرُهُمْ لِلْحَقِّ كَارِهُونَ﴾^(٤٢).

المعالجات :

ان خطورة مواجهة التطرف الذي يعتمد العنف الديني الذي انتج (الارهاب) بالمصطلح المعاصر تزيد على دخول البلاد في حرب كبرى مع دول او عدة دول اقليمية من حيث استنزاف الثروة ، والارواح وتعطيل الحياة المدنية ، بل هناك اثاراً نفسية كبيرة تقع على الناس بسبب احتمالات الوقوع في واحدة من عمليات الغدر بالمفخخات والاحزمة الناسفة والعبوات العشوائية ، وكل هذا يتطلب اكتشاف سبل المواجهة ، ومن هذه السبل :

١. ان الدولة القوية تقلل من فرص الارهاب وقوى التطرف كلما كان النظام السياسي قوياً ومتماسكاً ، لذلك لابد أولاً من بناء دولة قوية.

٢. تقليل حالات الخصومة الوطنية ((واجراء عملية اندماج وطني)) وهو هدف اعلى من المصالحة وباستراتيجية عالية وحل الاشكال الطائفي.

٣. تحليل مناشئ التطرف ورسم الخطط على اساس فهم اسباب النشأة والتطور على مستوى الفكر والثقافة.

٤. تحقيق التوافق بين المراكز الدينية في العالم للتصريح بأن التطرف ظاهرة مدانة شرعاً ، وان العنف والارهاب جريمة وانحطاط اخلاقي بحيث يضع على الارهابيين عاراً دينياً ووطنياً ، والاعلان عن عدم استناد التطرف على اساس دينية صحيحة وذلك :

أ. بإعادة دراسة السيرة النبوية (السيرة النبوية بين النص القرآني والرواية البشرية).

ب. دراسة الصالحين من اجيال المسلمين.

ج. ابراز القيم المشتركة وخاصة السلمية.

د. بيان ان العقائد والمعتقدات هي حق خالص لله تعالى ، ولم يفوض البارئ احد يحاسب الناس على عقائدهم وآرائهم ، فليس من حق احد ادانة احد ، انما صفة

الاعلان عما يعتقد صحيحاً والبرهنة عليه وتأشير الزلل كما يراه فيما يعتقد الاخرون - من دون اقضاء او تكفير.

الاستنتاجات

١. يمكن القول ان التطرف الحاضن للعنف الديني نمط من استجابات غير واعية لوقائع الفشل ولاهداف سياسية تخفي وراء فكر ديني متزمت ماضوياً لإثارة الضمير الديني، ونزعة انتقائية للذات ، واقصائية للآخر بواسطة البدعة والتكفير.
٢. ان للتطرف جذوراً في التاريخ الاسلامي ناتج من القراءة الحرفية المعاصرة ، ومهما تطورت موجات التطرف الا انها متناصلة مما قبلها وكل مرحلة لاحقة تضيف فكراً متشدداً عما في سابقتها.

الخاتمة :

اسفرت دراسة هذا البحث عن جملة من العوامل والنتائج والحقائق في غاية الاهمية يمكن ايجازها بما يلي :

- ١- ان القران الكريم هو المنهج العام للحياة في تحديد مفهوم الوسطية من خلال قوله تعالى : (وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الاثم والعدوان) .
- ٢- ضرورة بث الثقافة الاسلامية الصحيحة التي تدعو الى التسامح والتراحم والتوادر بين الناس ، ورفض كل جذور التطرف الواردة اليها من التاريخ السحيق والنتائج عن القراءات الحرفية الخاطئة للنصوص الدينية سواء كانت في الماضي ام في الحاضر .
- ٣- ان المرجعية الرشيدة واعية جدا لخطورة ما يحدث خاصة في الامور التي تخص حياة المواطن اليومية الاقتصادية والاجتماعية والعقائدية ، لذلك سلكت المرجعية الطريق الوسطي الذي يمثل لب الاسلام .
- ٤- ان التطرف لاينمو الا في حواضن طبيعية او مفتعلة ومنها : (الجهل والتجهيل ، والغفلة ، والتضليل ، والفقر ، والبطالة) وهذا ما ادركته المرجعية الرشيدة من توصياتها العديدة لازالة هذه الامور السلبية.

- ٥- ان على الدولة ان تعمل على تقليل فرص الارهاب وقوى التطرف وذلك من خلال تقوية تماسكها السياسي والاقتصادي.
- ٦- ان تعمل الدولة قدر الامكان على نبذ العنف والكراهية والتقليل من حالات الخصومة بين الفرقاء السياسيين، ووضع استراتيجية لحل الاشكال الطائفي.
- ٧- على العلماء والاساتذة والمختصين في شؤون المجتمع وادارة الدولة ان يحذوا حذو المرجعية في التعامل مع معطيات وواق المجتمع ، وذلك من اجل نبذ العنف والتطرف وبث روح التسامح والعمل على تحرير البعض من العقلية البدائية التي تعيش مشاكل الماضي اكثر مما تعيش محن الوقت الحاضر.
- الملخص:

تمتد الجذور التاريخية للعنف والكراهية وفرض الراي الاحادي الى القرون الاسلامية الاولى ، وبالتحديد في القرنين الاول والثاني الهجريين ، حتى وصلت مرحلة النضج والتثبت في القرن الرابع الهجري لتاتي اكلها وثمارها في القرون اللاحقة .

وقد تاسست مبادئ العنف والكراهية ونبذ الاخر المخالف اعتمادا على منهجية خاطئة وهي القراءة الحرفية للنص الديني ، والتشديد على الاجتهاد واسقاط البرهنو والحوار. والمقصود بالقراءة الحرفية : هو الترجمة الحرفية الدقيقة التي لاتصرف فيها ، ومنها التمسك بالقانون حرفيا _ كما في الاصطلاح _ . أي بحرفيته بحذافيره ، دون النظر الى عمقه او احتمال تبدل محتوى النص في زمن معين او مكان معين ، وانما الالتزام الحرفي للنص الذي تولد من جرائه جمود الفكرة ، وبالتالي صعوبة تطبيقها ، او خطأ تطبيقها استنادا لهذا الامر .

ومن المشاكل التي ابتليت بها الثقافة الاسلامية والخطاب الديني الاسلامي ، مشكلة الالتزام بمعيارية فهم اهل الزمن الاول ، بحيث يتحول الدين من حقيقة كونية تستوعب الانجاز الانساني الى نموذج تاريخي سكوني ثابت وجامد لايتحرك وكان العقول اجذبت وعقمت عن انتاج أي معرفة ، فاصبحنا مجبرين على فهم النص كما فهمه وفسره ابن عباس ، او ابو سعيد الخدري ، او ابو هريرة ، دون ادنى مراجعة لهذا النص عقليا

وفكريا ، ومدى مطابقته للواقع في حياتنا اليومية . فاصبح الخطيب والفقيه يستشهد بتفسيرات الاولين وكانها نص مقدس لا يمكن مناقشته .

ولم يقف الامر عند هذا الحد ، بل ان نتائج النقطتين السابقتين قادت بالفكر الاسلامي الى التطرف والكراهية ونبد الاخر المحالف في الراي والعقيدة ، وصلت الى حد التكفير، والتكفير هو نسبة مجموعة من المسلمين الى الكفر واخراجهم من ملة الاسلام .

ورغم ان القرآن الكريم والسنة النبوية الصحيحة في الكثير من الايات والاحاديث اكدت على النهي من التكفير ، وبينت اثاره الوخيمة على بنية المجتمع الاسلامي ، الا ان الروايات التي غلب عليها الطابع السياسي والعقائدي ملئت الكتب والمؤلفات الاسلامية التي تكفر المسلمين المخالفين في الفكر والعقيدة .

تعد الوسطية في كل الامور من اهم مزايا المنهج الاسلامي ، فهي ليست مجرد معنى ، بل سلوكا ومعاملة ومنهجاً فكرياً ينبغي التعامل به ، ولعلنا اليوم احوج مانكون اليها من أي وقت اخر ، ذلك ان التعصب والتطرف ابعد البعض عن فهم المعنى الحقيقي للاسلام .

وعند الدخول في تفاصيل ماورد في القرآن الكريم من ايات كريمة ، وما جاءت به سنة المصطفى صلى الله عليه واله وسلم ، والائمة الاطهار عليهم السلام ، نرى بوضوح ان الوسطية والاعتدال هي الاصل في الفكر الاسلامي ، اما ما سواها من عقائد وافكار تميل نحو الغلو والتطرف والافراط والتشدد ، فلا تمت للاسلام بصلة .

لهذا كله نرى وبوضوح لا لبس فيه ، ان المرجعية الدينية في النجف الاشرف وفي كل خطبها الدينية ، اتسمت باهميتها الكبيرة ، وذلك لانها تنطلق من مبدا الوسطية والاعتدال ، والتجرد من الخطابات التمييزية والطائفية ، او الانحياز لفئة دون اخرى ، وهي بهذا التصرف فانها تنطلق من موقع الاحساس العالي بالمسؤولية الشرعية ، وممة موقع ماتمتع به من حكمة وحرص على سلامة البلاد او العباد . فكانت دائما في خطاباتها التوحيدية ، خصوصا بعد الوضع السياسي الحالي في العراق والذي يدعو الى

النظر العميق والتأمل في إيجاد الحلول الناجحة ، نلاحظ بوضوح ان المرجعية في كل خطاباتاتها وهي تحمل هموم الناس ، فانها تقدم معالجات جذرية وواقعية في هذا الشأن. وكمثال على ما ذكرنا : ففي الخطبة الثانية لصلاة الجمعة بامامة السيد احمد الصافي في يوم ٢٦ / جمادى الآخرة ١٤٤١ هجرية الموافق ٢١ / ٢ / ٢٠٢٠ ، ابتدا السيد خطبته بذكر ما مر به امير المؤمنين علي عليه السلام في حياته ، كما هو المعلوم من سيرته العطرة. حيث مر عليه السلام بمجموعة من الامور بعضها فتن وبعضها توجيهات الى الامة .

فقد ذكر السيد الصافي في هذه الخطبة : ان هناك مقطع زمني مر به امير المؤمنين عليه السلام كان فيه بعض الفتن ، حيث دخل عليه رجل اسمه الحارث ، وهذا الحارث بدا يرادد امير المؤمنين عليه السلام في امر ، فذكر له امير المؤمنين عليه السلام هذه المقولة الرائعة والخالدة التي هي طرية في كل زمان ومكان ، فقال له _ أي للحارث _ : (يا حارث انك ملبوس عليك ، ان الحق والباطل لا يعرفان بالناس ، ولكن اعرف الحق تعرف اهله ، واعرف الباطل تعرف من اتاه) البلاذري / انساب الاشراف / ج ٢ ، ص ٢٧٢.

يقول السيد الصافي : امير المؤمنين يريد ان يقول ان هذه الطريقة في الفهم خاطئة لا يمكن ان تعرف الحق من خلال الرجال . واكد السيد الصافي : ان هذه المسألة هي في كل زمان ومكان ، فالتمييز بين الحق والباطل مسألة مهمة جدا في حياة الفرد المسلم . هذه هي خلاصة البحث الذي يدور حول الدور الوسطي الذي سلكته المرجعية الرشيدة في التعامل مع قضايا الامة الاسلامية ، لان الوسطية هي منهج قرآني ونبوي لا لبس فيه . والله ولي التوفيق .

Abstract

The historical roots of violence, hatred and the imposition of a single opinion extend back to the first Islamic centuries, specifically in the first and second centuries of the Hijri, until it reached the stage of maturity and confirmation in the fourth century AH to bear fruit in the subsequent

centuries. The principles of violence, hatred, and renunciation of the other violator were established based on a wrong methodology, which is the literal reading of the religious text, the stress on ijihad, and the dropping of proof and dialogue. What is meant by literal reading: is the precise literal translation that does not deal with it, and one of them is adherence to the law literally – as in the terminology _That is, literally, without regard to its depth or the possibility of changing the content of the text in a specific time or place, but rather the literal commitment to the text, which resulted in the stagnation of the idea, and thus the difficulty of its application, or the error in its application based on this matter.

Moderation in all matters is one of the most important advantages of the Islamic approach, as it is not just a meaning, but rather a behavior, treatment and an intellectual approach that should be dealt with, and perhaps today we are more in need of it than at any other time, because fanaticism and extremism keep some from understanding the true meaning of Islam

As an example of what we mentioned: In the second sermon for Friday prayer led by Sayyid Ahmad al-Safi on ٢٦ Jumada al-Akhira ١٤٤١ AH corresponding to ٢/٢/٢٠٢٠, the Master began his sermon by mentioning what the Commander of the Faithful Ali, peace be upon him, went through in his life, as is known from his fragrant biography. As he, peace be upon him, passed through a set of matters, some of them were seditions and some were directives to the nation. Al-Sayyid Al-Safi mentioned in this sermon: There is a time segment that the Commander of the Faithful, peace be upon him, passed through, in which there were some temptations, when a man named Al-Harith entered upon him, and this Al-Harith began to echo the Commander of the Faithful, peace be upon him, in a matter. And the immortal woman who is tender in every time

and place, so he said to him – that is to Al-Harith –: (Oh Harith, you are confused on you, for truth and falsehood are not known to people, but know the truth you know its people, and know the falsehood you know who came to it) Al-Baladhari / Ansab Al-Ashraf / Part ٢, p. Al-Sayyid Al-Safi says: The Commander of the Faithful wants to say that this method of understanding is wrong, and it is not possible to know the truth through men. Al-Sayyid Al-Safi stressed that this issue is present in every time and place. Distinguishing between right and wrong is a very important issue in the life of a Muslim individual. This is the summary of the research that revolves around the moderating role played by the rational reference in dealing with the issues of the Islamic nation, because moderation is an unambiguous Quranic and prophetic method. God grants success .

الهوامش :

- (١) حارث سليمان ، المعجم القانوني ، ج ١ ، ص ١٩١.
- (٢) ابن عباس : هو عبدالله بن عباس بن عبد المطلب الهاشمي (ت ٥٦٨هـ) ، صحابي محدث فقيه وحافظ ومفسر ، وابن عم النبي (ص) وأحد المكثرين لرواية الحديث ، روى أكثر من ١٦٦٠ حديث عن النبي محمد (ص). ينظر : ابن الاثير ، اسد الغابة ، ج ١ ، ص ٢١٢.
- (٣) أبو سعيد الخدري : هو سعد بن مالك بن سنان الانصاري الخزرجي صحابي جليل من فقهاء الصحابة ، مات سنة اربع وتسعين ، وقيل قبلها بعشر سنين. ينظر : ابن عبد البر ، الاستيعاب ، ج ٢ ن ص ٦٠٢.
- (٤) محمد الصدر ، ما وراء الفقه ، ج ٩ ، ص ٢٩٣.
- (٥) ابن تيمية ، الفتاوى الكبرى ، ج ٣ ، ص ٤٥٤.
- (٦) البقرة ، الآية : ٦٢.
- (٧) سورة البقرة ، الآية : ١٤٣.
- (٨) سورة المائدة ، الآية : ٢.
- (٩) ابن ابي الحديد ، شرح نهج البلاغة ، ج ١ ، ص ١١٣.
- (١٠) البرقي ، المحاسن ، ج ٢ ، ص ٣٥٥ ؛ الطوسي ، تهذيب الاحكام ، ج ٦ ، ص ١٣٨ ؛ الريشهري ، ميزان الحكمة ، ج ١ ، ص ٥٦٦.

- (١١) ابن ميثم البحراني ، شرح نهج البلاغة ، ج ٥ ، ص ١٧٤ .
- (١٢) ال عمران ، الآية : ٦٤ .
- (١٣) البقرة ، الآية : ١٤٣ .
- (١٤) النحل ، الآية : ١٢٥ .
- (١٥) الاردبيلي ، زبدة البيان ، ص ٣٤٧ .
- (١٦) العنكبوت ، الآية : ٤٦ .
- (١٧) طه ، الآية : ٤٤ .
- (١٨) البقرة ، الآية : ١٩٠ .
- (١٩) البقرة ، الآية : ١٤٣ .
- (٢٠) الاعراف ، الآية : ١٦٤ .
- (٢١) المدثر ، الآية : ٣٨ .
- (٢٢) المائدة ، الآية : ٨ .
- (٢٣) الكليني ، الكافي ، ج ٥ ، ص ٣٩ ؛ الحر العاملي ، وسائل الشيعة ، ج ١١ ، ص ٧١ .
- (٢٤) المفيد ، الاختصاص ، ص ٣٦٦ .
- (٢٥) أحمد بن حنبل ، مسند أحمد ، ج ٣ ، ص ٢٤١ .
- (٢٦) المتقي الهندي ، كنز العمال ، ج ٢ ، ص ١٨٢ .
- (٢٧) البقرة ، الآية : ٢٠١ .
- (٢٨) المحقق البحراني ، الدرر النجفية ، ج ٤ ، ص ١٠٥ .
- (٢٩) الطلاق ، الآية : ٢ - ٣ .
- (٣٠) العلامة الحلي ، تحرير الاحكام ، ج ٢ ن ص ٢٤٩ .
- (٣١) المصدر نفسه ، ص ٢٤٧ .
- (٣٢) العلامة الحلي ، منتهى الطلب ، ج ٢ ، ص ٩٩٨ .
- (٣٣) الحشر ، الآية : ١٠ .
- (٣٤) البقرة ، الآية : ٢٥٦ .
- (٣٥) ابن ميثم البحراني ، شرح نهج البلاغة ، ج ٥ ، ص ٢٧ .
- (٣٦) البخاري ، صحيح البخاري ، ج ١ ، ص ١٣ . البقرة ، الآية : ٢٥٦ .
- (٣٧) ابن الاثير ، اسد الغابة ، ج ١ ، ص ١٤٩ .
- (٣٨) ابن ابي الحديد ، شرح نهج البلاغة ، ج ٣ ، ص ١٨١ .

(٣٩) ابن تغري بردي ، النجوم الزاهرة ، ج ١٦ ، ص ١٦٠.

(٤٠) ملبوس : يعني اشتبهت عليك الامور.

(٤١) البلاذري ، انساب الاشراف ، ج ٢ ، ص ٢٧٢.

(٤٢) المؤمنون ، الآية : ٧٠.

قائمة المصادر والمراجع

• القرآن الكريم

أولاً : المصادر الأولية

- ابن الاثير ، ابو الحسن عز الدين بن أبي الكرم بن عبد الكريم الشيباني (ت ١٢٣٢هـ / ١٢٣٠م)

١. أسد الغابة في معرفة الصحابة (دار الكتاب العربي ، بيروت ، د.ت).

- ابن حنبل ، الامام أحمد (ت ٨٥٤هـ / ٨٤١م)

٢. مسند أحمد (دار صادر ، بيروت ، د.ت).

- الاردبيلي ، محمد بن علي (ت ١١٠١هـ / ١٦٩٠م)

٣. زبدة البيان في تفسير القرآن ، (مكتبة آية الله المرعشي النجفي ، قم ، ١٤٠٣هـ / ١٩٨٣م)

- البخاري ، ابو عبدالله محمد بن اسماعيل (ت ٢٥٦هـ / ٨٦٩م)

٤. صحيح البخاري ، (دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع ، بيروت ، ١٤٠١هـ / ١٩٨١م).

- البرقي ، أحمد بن محمد بن محمد بن خالد (ت ٢٧٤هـ / ٨٨٧م)

٥. المحاسن ، تحقيق : جلال الدين الحسيني ، (دار الكتب الاسلامية ، طهران ، ١٣٧٠هـ / ١٩٥٠م).

- البلاذري ، احمد بن يحيى بن جابر (ت ٢٧٩هـ / ٨٩٢م)

٦. أنساب الاشراف ، تحقيق : محمد باقر المحمودي ، ط ١ ، (مؤسسة الاعلمي للمطبوعات ، بيروت ، ١٣٩٤هـ / ١٩٧٤م).

- ابن تغري بردي ، جمال الدين أبي المحاسن يوسف الأتابكي (ت ٨٧٤هـ / ١٤٦٩م)

٧. النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة ، تحقيق : محمد حسين شمس الدين ، (دار الكتب العلمية ، بيروت ، د.ت).

• ابن تيمية ، تقي الدين ابن تيمية (ت ٥٧٢٨/١٣٢٧م)

٨. الفتاوى الكبرى ، تحقيق : محمد عبد القادر عطا ومصطفى عبد القادر عطا ، ط ١ ، (دار الكتب العلمية ، بيروت ، ١٤٠٨/١٩٨٧م).

• ابن ابي الحديد ، ابو حامد عز الدين بن هبة الله المدائني (ت ٦٥٦/١٢٥٨م)

٩. شرح نهج البلاغة ، تحقيق : محمد أبو الفضل ابراهيم ، (مؤسسة اسماعيليان للطباعة والنشر والتوزيع ، د.ت).

• الحر العاملي ، محمد بن الحسن (ت ١١٠٤/١٦٩٣م)

١٠. وسائل الشيعة الى تحصيل مسائل الشريعة ، ط ٢ ، تحقيق : مؤسسة آل البيت عليهم السلام لاحياء التراث ، مطبعة مهر ، قم ، ١٤١٤/١٩٩٣م).

• ابن عبد البر ، ابو عمر يوسف بن عبدالله بن محمد (ت ٤٦٣/١٠٧٢م)

١١. الاستيعاب في معرفة الاصحاب ، تحقيق : علي محمد البجاوي ، ط ١ ، (دار الجيل ، بيروت ، ١٤١٢/١٩٩٢م).

• العلامة الحلي ، الحسن بن يوسف بن علي المطهر (ت ٧٢٦/١٣٢٥م)

١٢. تحرير الاحكام الشرعية على مذهب الامامية ، تحقيق : ابراهيم البهادلي ، ط ١ ، (مطبعة اعتماد ، قم ، ١٤١١/١٩٩٠م).

١٣. منتهى الطلب في تحقيق المذهب ، ط ١ ، (مؤسسة الطبع والنشر في الاستانة الرضوية المقدسة ، ١٤١٣/١٩٩٣م).

• الطوسي ، ابو جعفر محمد بن الحسن (ت ٤٦٠/١٠٦٧م)

١٤. تهذيب الاحكام في مسائل الحلال والحرام ، تحقيق : أحمد حبيب قصير العاملي ، ط ٣ ، (دار الكتب الاسلامية ، طهران ، ١٣٩٠/١٩٧٠م)

• الكليني ، ابو جعفر محمد بن يعقوب بن اسحاق (ت ٣٢٩/٩٤١م)

١٥. الكافي، تحقيق : علي أكبر الغفاري ، ط ٣ ، (مطبعة حيدري ، طهران ، ١٣٨٨/٥/١٩٧٨م).

• المحقق البحراني ، الشيخ يوسف بن احمد (ت ١١٨٦/٥/١٧٧٢م)

١٦. الدرر النجفية من المتقطات اليوسفية ، ط ١ ، (شركة دار المصطفى المتقي الهندي ، علاء الدين علي بن حسام (ت ٩٧٥/٥/١٥٦٧م)

١٧. كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال ، تحقيق : الشيخ بكري حياني ، (مؤسسة الرسالة ، بيروت ، ١٤٠٩/٥/١٩٨٩م).

• المفيد ، أبو عبدالله محمد بن محمد المعلم العكبري البغدادي (ت ٤١٣/٥/١٠٢٢م)

١٨. الاختصاص ، (منشورات جماعة المدرسين في قم ، قم ، د.ت).

• ابن ميثم البحراني ، كمال الدين بن علي (ت ٦٧٩/٥/١٠٢٥م)

١٩. شرح نهج البلاغة ، ط ١ ، (الحوزة العلمية في قم ، قم ، د.ت).

ثانياً : المراجع الحديثة :

• حارث سليمان ، الفاروقي

٢٠. المعجم القانوني ، ط ٣ ، (مكتبة لبنان ، بيروت ، ١٤١١/٥/١٩٩١م)

• الريشهري ، محمد

٢١. ميزان الحكمة ، تحقيق دار الحديث ، ط ١ ، (دار الحديث ، قم ، د.ت).

• محمد الصدر ، السيد

٢٢. ما وراء الفقه ، ط ٣ ، (المحبين للطباعة والنشر ، مطبعة قم ، ١٤٢٧/٥/٢٠٠٧م).